قراءة في ديوان الشاعر عبدالله به شيو (الصوت... الصّمت.. قبل العاصفة)

» د. عثمان أمين صالح

يعّد عبدالله بشيو من الشعراء الكورد البارزين والمتميزين في نظم الشعر الكوردي في العصر الحديث، فهو منذ سنوات طويلة يوجّه فنه الشعري إلى مريديه ومستمعيه بلغة النار والورد عن طريق قصائد مختارة مبدعة يعبر فيها عن مصير الإنسان والزمن وحاجاتهما الآنية وعقدهما الماضية والحاضرة، والشاعر يمتلك لغة سليمة سلسة بسيطة، وهي صافية ومهذبة من الكلمات الواردة إلينا من لغات شعوب الجوار، وفي الغالب يوظف الشاعر هذه اللغة في خدمة نصوصه الشعرية وفيها يحاول جاهداً تحديد مستقبله كإنسان، ومعرفة قدره وعشقه الأبدي للحياة..

عشق وقدر مرسوم.. وليس مهنة

وهو محراب.. وليس سوقاً..

لامن أجل الخبز، بل من أجل قطعه

الشعر صليب متين، وقد أصبح قدري.

أحمله مع الذين يعيشون مع كلماتي

فالشاعر بشيو يحمل صليب العشق على أوتار الحزن مع الذين يفهمون لغته الشعرية، ويعانون معه أحزانه وهمومه، ويتذاكرون معاً معاناة الشاعر فيطربون أناء فرحه، ويحزنون أثناء لإضطرابه وقلقه وحيرته، وهو وحده يعرف ماذا يقول والمقربون منه يدركون ذلك أيضاً، وقد يجعل من الشعر لساناً ناطقاً، فالشاعر وشعره يتقاسمان العّبر والتجربة وعوامل وجودهما فيكملان بعضهما بعضاً . وعند القاء نظرة على ديوانه الشعري المنظوم في لغته بداية السبعينات، نلاحظ فيه أحاسيس الشباب وتأملات شاعر يصلي في محراب الجمال.

بالأمس كان هنا..

في هذا المكان المهجور

كان اللقاء وحرارة القبلات..

مطبوعة على شفاه الحياة..

لاتزال قهقهة الضحكات

والشكوى والنجوى واللمسات

ترن صداها في سمعي

يرن.. ويرن.. وتيرن

وكيف يجب أن أنساك

وكيف لي أن ألومك

وفي جانب آخر نرى قصائده الشعرية في الستينيات قد نظمت بأسلوب أقرب ما يكون إلى السذاجة الواضحة، وكأنها بدايات الشاعر في مسكه للقلم، وفي الوقت نفسه فهو أكثر ميلاً نحو المجاز البسيط.

أيتها الفتاة المغرورة..

لماذا تقتلينني من دون حق

لماذا هذا الصدّ والهجر..

وأنتِ معبودتي إلى يوم فنائي

أعرف سبب صّدك..

لأنك لاترينني على قارعة الطريق

في أنتظارك..

وبهذا الأسلوب الخطابي يجعل من ألفاظه قلائد شعرية يجسد فيها هذا الشاب الكوردي المحروم من الحب كيف يقضي حياته مع محبوبته بصورة أقرب مايكون إلى الكفاف وهو يعيش في عائلة عفيفة في إحد أحياء مدينة أربيل..

إنني شاب مستقيم ولست ذا أحابيل

نظراتي صادقة..

ملابسي بسيطة، وهي ليست مثل ملابس المترفين الملّونة..

ولست لاعب قمار..

لإنني مسكين.. ولست صاحب عمارات..

إنني عبد للحرية، ولست عبداً للدينار.

ففي مقابل الهدايا والمال الوفير

أهديك قلباً حتى الموت..

وعلينا أن نقول أن الشاعر في إختياره للمفردات، يختار ألفاظاً كوردية بحتة وهو يجاهد لكي يبتعد عن المصطلحات الدخيلة في الأدب الكوردي، فهو إلى جانب تطرقه الى موضوعات الغزل وحب الجمال، يتناول أيضاً موضوعات قومية واجتماعية عديدة:

نحن عمال. نحن عمال..

رتبنا الآلام والعذاب.

نسكب العرق والتعب

الموت..

لكي نعيش

وهو مثل الشعراء الآخرين من الكورد ملأت الأحداث المؤلمة لشعبهم قلوبهم ووجدانهم بالقلق والأضطراب والخوف، لذا نراه يميل إلى الشعور بالحب تجاه وطنه كوردستان من خلال شخص رمزي يتمثله وهو في موقف الخنوع والجبن:

أبصق على هذا القلب الميّت

الذي يحب العبودية والخنوع

أبصق على سحر هاتين العينين

اللتين لاتريان جمال الوطن

آلام هذه الأرض الطيبة..

أبصق على هاتين الأذنين القبيحتين

اللتين تسمعان أصوات الدنانير الفضية

وهي لا تسمع..

صوت الكورديتي.

وفي الوقت الذي يطرز شعره بحب الحياة والوطن وعبادة الجمال، يميل إلى النظم في الشعر الغنائي، حيث أن بعضاً من شعره غني من قبل فنانين كورد وقد أشتهروا بسبب كلماته الموسيقية العذبة التي تهذب العاطفة وتروضها.

من بعيد سمعت إسمي

أحببتني دون معرفة

يقولون عايشت قصائدي

ليالي وليالي..

تمتعت بألفاظها ومعانيها.

صدقيني أنت لاتعرفينني..

فالمطرب (صابر كوردستاني) غنى له هذه القصيدة بصوته المعذب، وله قصائد أخرى غناها الفنان هاوتا أسعد بصوته الشجيّ:

نام اللّيل..

تعبت رجلاي.

ذاب القمر في وسط السماء

إفتح لي بابك، لأنني متعب

جئتك هذه الليلة من بعيد

لأجني.. ثمار الحب.

من عيونك النرجسية

لأجل أحلامي، لأجل قليل من البكاء

على سحابة شعرك المتدلي

وكلماّ تعمقنا في قراءاتنا لنصوص الشاعر، نخطو خطوات جديدة نحو التمتع بسحر الجمال البادي على معظم قصائده، فهي تجذبنا نحو بحر من الأفكار، وفي نهاية الستينيات وبداية السبعينيات وصل عبدالله بشيو إلى قمة مجده بإضافة مضامين بديعة أبتكرها في شعره:

حبيبتي.. أشعل النار في رسائلي

هذه القصيدة التي كتبتها لك

أنصب لها منشقة..

في بلادنا، على كلمة شاردة

تشنق الرجال على أعمدة الخشب

المصدر: خبات (2308)

2101720